البحث الثاني

عدد من الشخصيات المندائية رحلت

رحمها الحي العظيم ، نذكرها لكي لا ننساها

أخواتي وإخوتي المندائيون أينما وجدتم؛ تحية حب وتقدير لكم جميعًا...

من الظواهر السلبية الملموسة على نحو جلي في مجتمعنا المندائي ، هي مع أن الهيبي حبانا بنسبة كبيرة من ذوي الشأن الرفيع وفي المجالات كافة سواء العلمية أو الفنية أو الأدبية... الخ، مقارنة ببقية الملل، لكنا من أكثر هذه الملل إنكارًا وإهمالاً لهذه الطاقات الخلاقة القديرة المبدعة، بل إن الحال قد يصل بنا إلى محاربة هؤلاء إبان حياتهم لمجرد اختلافنا معهم في وجهات النظر، وسعيد الحظ من يذكر بالخير بعد رحيله... لكن ، بعد فوات الأوان لأنه قد رحل ونجمه عنا قد أفل، فما فائدة التعظيم والتمجيد في هذه الحالة، أم أنه قد يصل إليه مع اللوفاني؟.

إن للتمجيد والإشادة بالمبدعين إبان حياتهم أثر كبير في زيادة عطائهم وشحذ هممهم لتقديم المزيد خدمة لمجتمعاتهم، وقد يزيد من سنوات حياتهم أيضًا (ولو أن الأعمار بيد الله كما يقال)...

وعكس ذلك؛ فإن نسبة كبيرة منهم سيصيبها اليأس والقنوط والشعور بالإحباط والابتعاد التدريجي عن خدمة مجتمعاتهم، وبالتالي موتهم البطيء فهل أن هذا التهميش والإهمال هو تعبير عن دوافع لا شعورية هدفها عدم إظهارنا وكأننا أقل شأن منهم؟ أو أن المصادفة والنسيان والانشغال بأمور الحياة هي السبب في هذا التهميش؟، وإذا كان الأمر كذلك لماذا نخصِّص جزءًا من وقتنا لهذا الإطراء بعد الرحيل؟...

إنها مجرد تساؤلات تتطلب منا الإجابة ولو مع أنفسنا، فرحمة بأدبائنا وفنانينا ومبدعينا الذين ما زالوا بين ظهرانينا لأنهم كنز من كنوزنا ورحمة لمن

سيواري جثمانه الثرى هذه الأيام المغفور له مكي كميت البدري الذي كان مثالاً مندائيًا رائعًا بثقافته وفنه وعلمه الوفير ، والأكثر من هذا خلقه الرفيع وتواضعه الذي زاد من عظمته، ورحمة لكل عظمائنا الذين غادرونا.

أخوكم/ د. كارم ورد عنبر

تعقيب من د. بشير عبد الواحد يوسف :

أخي الغالي د. كارم ورد عنبر... صدقني أن ما ذهبت إليه صحيح ودقيق مائة في المائة ، وتبقى المشكلة قائمة ولا نستطيع معالجتها لأننا عشنا وتربينا في مجتمعات متخلفة، تعلمنا منها مع الأسف الشديد الأنانية وحب الذات والخلافات التي نخلقها نحن لنعيش عليها فترة من الزمن، إلى أن نجد لنا خلاف جديد.

الأمم العظيمة تتفاخر بعظمائها والعظمة للحي العظيم ، لنقل تتفاخر ونتباهى بعلمائها وأدبائها وقادتها الميامين، لو سنحت لك الفرصة وشاهدت قبر فيكتور هيجو في باريس أو بوشكين في روسيا أو شكسبير في انجلترا، وهكذا ستتفاجأ كيف هذه الأمم تعظم مبدعيها في حياتهم وبعد مماتهم ، ولو قربنا الصورة وزرت القاهرة وزت تمثال نجيب محفوظ ومقهاه التي كان يتردد عليها وكيف جعلوها من التراث الذي يتردد عليه الزوار ، وأنا أسألك يا أخي نحن كعراقيين أين قبر الجواهري الكبير ، وأين قبور وتراث العراقيين المبدعين من العلماء والأدباء والشعراء؟.

ونحن كمندائيين لنا رموزنا الكبيرة المبدعة عبر التاريخ ، ولا أريد أن أقلب أوراق الماضي البعيد نوعًا ، عندما كنا نزور مقبرة أبا غريب المندائية، كنت أزور قبر العالم عبد الجبار عبد الله السام رواه ناويلة، قبر عادي بسيط تحت سقيفة بسيطة بمساحة لا تتجاوز ست أمتار مربعة غير مدام، أي ليس هناك من يعتني بهذا القبر ولو بأوقات متباعدة، وكنا في مرحلة الطفولة في البصرة نلعب كرة القدم قرب مقبرة الانجليز ونلاحظ العناية والإدامة والنظافة والورود

والأشجار ، فهي مدامة من الأربعينات أي من بعد الحرب العالمية الثانية أو عند دخول الانجليز للعراق عام ١٩١٧م.

نحن الآن في السويد وحضرتك في أستراليا، ونشاهد بأعيننا مدى العناية الفائقة بالمبدعين في حياتهم وبعد مماتهم، وأذكر مرة يا دكتور كارم سألت أبي رحمه الله لماذا فلان من أقربائنا لا يحب المتفوقين منا، فأجابني بهذا المثل العراقي البصراوي : (شفتك أحسن مني لعبت نفسي منك)... لم أستحسن المثل في حينها ولكن اتضح لي أنه تشخيص صحيح من رجل خبير بالناس...

لكي لا ننسى رموزنا ونهمل النخبة :

من حقنا وواجبنا أن نستذكر الرجال الذين قدموا خدمات جليلة وأعمالاً كبيرة طيلة حياتهم ، لا سيما بعدما أنعم الحي العظيم على الطائفة بقيادة مخلصة تسعى لتسجيل إشراقات تاريخ الطائفة، وشخصياتها خلال القرن العشرين على الأقل ، وتفتش وتبحث عن كل ذي حق لكي ترد له حقه، ونقول له شكرًا على مسمع ومرأى من الملأ.

فقد تمَّ تكريم البعض منهم بشهادات الشرف ووسام الاس ، وجرى تعريف الناس بهم من خلال المطبوع المركزي للطائفة – مجلة آفاق مندائية – وهناك آخرون ينتظرون دورهم ليشملهم هذا الحق.

إن ما حققه ويحققه مجلس الشؤون العام في عدم تناسيه هؤلاء الرجال الأفذاذ؛ أحدث حالة الرضا والقبول لدى جميع المندائيين ، وجسدت تقاليد جديدة بأن الطائفة لا يمكن أن تنسى أو تهمل أبناءها الذين ضحوا من أجل بقاء المندائية وديمومتها ، وهنا يجب أن نقف ونتساءل كيف كان وضع الطائفة قبل انبثاق أول تشكيل رسمي لها في عام ١٩٨١؟.

إننا يمكن أن نجيب بشكل مختصر ، لقد كانت آنذاك بعض الوجوه الاجتماعية المعروفة في بغداد قد أخذت على عاتقها تسيير أمور الطائفة، وأسهمت إسهامًا فاعلاً في متابعة جميع القضايا المندائية على الصعيدين الرسمي والاجتماعي ، فمنهم من كان يوظف علاقاته الشخصية ووجاهته الاجتماعية مع مسؤولي الدولة لتمشية أمور الطائفة، فكانوا يشاركون في المناسبات الرسمية مضحين بوقتهم وراحتهم ، ومنهم من ساهم ببناء أول مندي في بغداد ، والبعض منهم دفع حياته من أجل أن يظل المندائيون متعلقين بمندائيتهم وألا يخرجوا من هذا الإطار... فإذا جاء ذكر هؤلاء الرجال يعلق في ذهن السامع اسم طائفة الصابئة المندائيين، إنهم ممثلون حقيقيون لها ، نذكر منهم على سبيل المثال الراحلين الشيخ عبد الله الشيخ سام ، ضامن حويزاوي ، ياسر صكر ، عنيسي

الفياض ، خليل مال الله ، دهش فرحان ، جودة السهر ، رشود بادي ، حاكم فرحان ، غضبان رومي ، خليل سيلان ، يوسف بخيتان في البصرة ، إبراهيم الحلي في العمارة، وهناك الكثير الكثير غيرهم.

وفي الختام أرجو أن يُقام حفل موسع يتم فيه تكريم جميع رموز القرن العشرين وعلينا أن نستذكرهم دائمًا ، وأن نحتفي بهم جزاء لما قدموه من تضحيات من أجل دينهم وطائفتهم، وهذا ما أوصى به ديننا العظيم.

شخصيات مندائية حرانية قدمت خدمات جليلة للعلم والأدب... وأبدعت في مجال اختصاصها :

*** ثابت بن قرة:**

ذكره المؤرخ الطبيب ابن أبي أصيبعة قائلاً لم يكن في زمن ثابت من يضارعه في علوم الطب ولا في الفلسفة، وذكر له أكثر من مائة وخمسين كتاب ألفها أو ترجمها في مجالات الطب والهندسة والفلك والفلسفة، لقد كان عالمًا رياضيًا وفلكيًا وفيلسوفًا وطبيبًا ومهندسًا وموحدًا، ومن وصاياه: راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة النفس في قلة الآثام، وراحة القلب في قلة الاهتمام، وراحة اللسان في قلة الكلام، ومن وصاياه الطبية: ليس على الشيخ أضر من أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء لأنه يستكثر من الطعام فيسقم ومن الجماع فيهرم، رحم الله ثابت فلقد كان مدرسة متنوعة الفنون، نقل علمه إلى ذريته بكل أمانة ودقة.

*** سنان بن ثابت بن قرة:**

لقد أخذ عن أبيه في العلم والمعرفة وبرع في الطب كأبيه، ولازم الخلفاء وقد ألف وترجم عدد كبير من الكتب ولعلو كعبه في علوم الطب عينه الخلفاء في قصور الخلافة يمتحن الأطباء وينسبهم حسب كفائتهم، ويذكر أنه منح ٨٦٠ طبيب شهادة ممارسة الطب، كما عهد إليه الخليفة أن يبني المستشفيات في بغداد على نهر دجلة، وكان مستشار لعدد من الخلفاء العباسيين لكونه موضع ثقة وعالم جليل، وافاه الأجل عام ٣٣١ هـ.

*** ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة:**

كذلك قال المؤرخ ابن أبي أصيبعة : لقد كان طبيبًا حاذقًا يجاري أبيه في صناعة الطب ، وقد برز على أقرانه من الأطباء فاعتمده المقتدر بالله والمستكفي بالله والمطيع لله، وله عدة مؤلفات في التاريخ وكتاب أخبار الشام ومصر، مات سنة ٢٩٥ هجريًا وقد رثاه الشاعر أبي أحمد يحيى النديم:

ألا كـــــل شـــــيء مـــــا خـــــلا الله هالـــــت

ومـــــن يغتـــــرب يُرتجـــــى ومـــــن مـــــات فالـــــت

نعينـــــا العلـــــوم الفلســـــفيات كلهـــــا

خبـــــا نورهـــــا إذ قيـــــل مـــــات ثابـــــت

*** أبو إسحاق إبراهيم بن سنان:**

لقد كان كاملاً في العلوم الحكيمة فاضلاً في صناعة الطب متقدمًا على زملائه بارعًا في الكتابة، عظيم الذكاء، (عن المؤرخ ابن أصيبعة في كتاب النفيس وعيون الأبناء في طبقات الأطباء)، كذلك ذكره د. أحمد سليم سعيدان في كتابه (رسائل ابن سنان) باعتباره من كبار فلكي زمانه من مدينة حران ، ولد سنة ٢٩٦ هـ وتوفي سنة ٣٣٥ هـ.

*** البتاني:**

كان من علماء الفلك المشهورين ومن أشهر مؤلفاته الكواكب الثابتة ومعرفة مطالع البروج ورسالته المشهورة أقدار الاتصالات، ولد سنة ٢٦٤هـ وتوفي ٣٠٦هـ.

*** سنان بن الفتح:**

حراني برع في علم الحساب والأعداد ومن أشهر كتبه (التحت) في الحساب الهندي ، الجمع والتفريق ، والوصايا ، حساب المكعبات وكتاب شرح الجبر والمقابلة للخوارزمي.

*** أبو الحسن الحراني:**

لقد برع في مهنة الطب، وافر العلم خبير في معالجة مرضاه، واسع الإطلاع في العلوم الطبية وله مؤلفات عديدة ومقالات متنوعة، ولد سنة ٢٨٣ هـ ، وتوفي سنة ٣٦٥ هـ ، كانت له معجزات في شفاء المرضى الذين ظن غيره من الأطباء أنهم من الميتين.

*** المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي:**

ويكنى صاحب الشامة الحمراء في وجهه ، برع في النحو والأدب واللغة والشعر والنثر، كان أديبًا بارعًا، توفي سنة ٤٠١ هـ.

وحقًا حتى لا ننسى الصابئة المندائية :

ضمن مساحة الضمير العراقي النقي يتربع الصابئة المندائيون وسط هذا الوطن الفسيح، هذه الشريحة النقية – كما ذكر الأستاذ زهير كاظم عبود في مقال له – نقاء الماء والموحدة التي توحد الله، هذه الشريحة الممتلئة فن وحضور وتأكيد فتنفش روحها فوق المخشلات الذهبية لتشتهر بها في العراق، وتنفش روحها في سماء العراق فتطرزها شهداء وضحايا الحركة السياسية الوطنية العراقية المنحازة إلى صفوف الفقراء.

وتزداد الصابئة المندائية فخرًا، ليس بكوادرها وفنانيها، وليس بعلمائها الذين يفتخر العراق بهم، بل بطبقتها العاملة المتميزة المخلصة لعملها... الصابئة المندائية أصحاب الدين السماوي المتميز بالنقاء والطهارة ومباركة الماء وحب الخير ومحبة الإنسان والتواضع والرحمة، والديانة المتآخية والمنسجمة مع المسلمين والمسيحيين واليهود في العراق.

الصابئة المندائية الذين ضحوا وناضلوا في سبيل العراق ولم يلتفت أحد إلى حقوقهم الدينية والوطنية والدستورية، أجد من الواجب أن أعيد للتذكير ما طالبت به في الندوة التليفزيونية التي قدمتها من على شاشة قناة AAN شبكة الأخبار العربية، وضرورة أن يكون للصابئة المندائية حقهم في إقرار قانون يفصل في قضايا الأحوال الشخصية باعتبارهم ديانة موحدة ولهم خصوصيتهم ومن الظلم أن نقيدهم بالالتزام بقانون الأحوال الشخصية لدين آخر.

وحين ندعو إلى تخصيص قانون للأحوال الشخصية للصابئة المندائية وقانون خاص لليزيدية فإن هذا لا يخلق نوعًا من التمزق في القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية في العراق، بل على العكس فإنه يزيد المسألة فخر واعتزاز أن يكون العراق المتنوع والخليط المتجانس المنسجم الذي يتعايش فيه الناس بهذا الشكل الرائع.

الصابئة المندائية أصحاب الكتاب المقدس (الكنزا ربا) والمحافظون على لغتهم المندائية الجميلة والعريقة يحق لهم أن تنص نصوص الدستور المقبل على خصوصيتهم وعلى طقوسهم وعلى قيمهم بالنظر للمساهمة الوطنية الفعالة في معارضة السلطة البائدة. فلقد طرزت كوكبة من الشهداء العراقيين من أبناء الصابئة المندائية جزء مشرق من صفحات تاريخ العراق النضالي وسجلوا حضور دائم في مقارعة الدكتاتورية ، وكانوا جزءًا مهمًا من تاريخ العراق السياسي قبل أن يكونوا جزءًا فاعلاً من تاريخ الحركة السياسية الوطنية.

فلقد قدم أبناء هذه الديانة الكثير ولم يأخذوا ولم ينالوا من حقوقهم إلا القليل القليل، فحق لهم أن تتم مطالبة الأصوات الشريفة بحقوقهم كاملة.

الصابئة المندائية الصفحة المشرقة التي تتشرف بها الحركة الوطنية العراقية وتفخر بها الطبقة العراقية العاملة لأنهم جزء مؤثر ومهم من مؤثرات النشاط الاقتصادي في السوق العراقية، والصابئة المندائية الذين دخلوا بيوتنا وتغلغلوا وسط قلوبنا وحلوا في ضمائرنا وانتشروا في كل المدن العراقية الزاهية يتمتعون بأخلاق عالية ويحظون بمحبة الناس في العراق على اختلاف مذاهبهم وتنوعهم الاجتماعي والقومي، بعد أن كانوا سابقًا يسكنون على ضفاف المدن الجنوبية التي تطرزها الأنهار ، لأنهم جزء من انسياب الحياة العراقية، حالهم حال دجلة والفرات وشط العرب.

أوراق منسية

*** الأستاذ نعيم بدوي :**

الأقمار حين ترتحل تترك فراغاً لا يعوض ، وهكذا كان ارتحال المرحوم نعيم بدوي عن سمائنا ، ومما يعزينا أنه ترك خلفه ذكريات عطرة لا زلنا نتنسم شذاها ، ولهذا فهو خالد بيننا وستذكره الأجيال بكل فخر وتكريم وإجلال...

كان المرحوم موسوعة علمية لا تبارى يكتنز في ذاكرته معلومات غزيرة لا نهاية لها ، وحين تجلس إليه يتحدث إليك في مختلف القضايا ، فيسحرك بكلامه وحديثه وتظل منصتاً إليه ، كنت أزوره في أوقات غير متباعدة فأجده دائم البشاشة متشوق لمعرفة كل شيء عن طائفتنا ، وكنت أستشيره في كل أمر معضل يلم بالطائفة فأجد الحلول جاهزة لديه ، ولم أره يومًا عاجزًا عن الإجابة عن أي سؤال طرحته عليه وكانت إجاباته موجزة ولكنها مقنعة... كان يكره المنافقين والدجالين ويسميهم الديدان السامة التي تعكر ماء الحياة الصافي ،

وكان يردد دائمًا: الحياة حلوة لذيذة ممتعة، ولكن العمر قصير والأيام تجري مسرعة، ولا ينغص حلاوتها سوى المظالم وتجاوزات المستبدين من الحكام.

في لقاء معه عام ١٩٩٤ وجهتُ إليه بضعة أسئلة تدور حول ماضي طائفتنا وقضايا أخرى فأجابني عنها ولطرافة ذلك الحديث رأيت أن أنشره على صفحات المجلة لما فيه من متعة تخص تاريخنا المنسي...

*** لماذا لم تقم للمندائيين، طيلة تاريخهم كيانات سياسية؟**

– لأنهم فئة دينية فرض عليهم دينهم عدم الاهتمام بأمور هذه الدنيا، فاعتبروها فترة انتقال إلى دنيا الخلود في عالم النور ولهذا لم يكترثوا لتأسيس كيان سياسي لهم.

*** هل كان في مجتمعهم طبقات اجتماعية؟**

– كانوا طبقتين، الطبقة العامة وطبقة رجال الدين وهي المهيمنة...

*** كيف كانت طاعتهم لرؤسائهم إذن؟**

– كانوا يؤدون طقوسهم منذ الصغر بإشراف وإرشاد رجال الدين، وكان اتباع تعاليم هذه الطبقة المرشدة هو الأساس في حياتهم.

*** هل كانت طبقة رجال الدين طبقة ارستقراطية؟**

– كانت هي الطبقة العليا همها وعملها إقامة الطقوس الهيكلية لأبناء الطائفة وكانت منصرفة لأمور الدين فقط، وتفرض هيمنة الدين على أبناء الطائفة.

*** إذن فإن نظامهم لم يكن ديمقراطي يخضع لقوانين معينة؟**

– كلا لم يكن ديمقراطي ولم يخضع إلا لقوانين الدين.

*** هل كانت مبادؤهم إذن مثالية؟**

– كانت روحية مثالية.

*** هل كان نظامهم نظام عدالة؟**

– نعم، بمقياس ذلك الزمان.

*** هل كانت علاقاتهم تمثل طاعة لرجال الدين؟**

– نعم.

*** ماذا يشبه تجمعهم إذن لمستوى دولة؟**

– كان تجمعهم تجمعًا طائفيًا دينيًا.

*** ما أثر فلسفتهم المثالية على طريقة تصريف شؤونهم الدنيوية؟**

– كانوا يعيشون وسط أقوام غريبة وحكام من أنماط مختلفة، ولهذا فقد أثروا بالطوائف الأخرى وتأثروا أيضًا، وكانوا يحافظوا على استقلاليتهم دائمًا.

*** إذن فإنهم لم يعيشوا حياة منزوية مثل الآخرين؟**

– نعم، كانوا أقلية دائمًا وعاشوا في حماية الأكثرية ولم يختلف الأمر إلا في حالات الخطر فقط.

*** هل كانت لهم مجالس استشارية يتداولون فيها أمور حياتهم؟**

– طبقة رجال الدين كانت هي الطبقة الاستشارية.

*** ألم يفكروا ببقائهم والدفاع عن أنفسهم عند حلول الخطر؟**

– لم يفكروا بذلك، بل كانوا مسالمين لا يؤمنون بالحرب ولا سفك الدم.

*** هل كان لديهم تنظيم عسكري من نوع ما؟ وهل كانت لديهم أسلحة كما تقاليد ذلك الزمان؟**

– كلا.

*** إذن هل كانوا مطمعًا سهلاً للأقوياء؟**

– نعم.

*** هل كان لديهم بيت مال يعودون إليه عند الحاجة؟**

– نعم، لديهم بيت مال للطوارئ تحت مسؤولية رجل الدين الأعلى.

*** كيف كانت تسير أمورهم الدينية والحياتية؟ هل كانت اشتراكية؟**

– نعم.

*** مذكرات منداية... بقلم : غضبان الرومي**

يقال إني ولدت في السنة التي شبت الحرب فيها بين عشائر بني لام وعشائر البو محمد، وكان رئيس عشائر بني لام آنذاك غضبان البنية، وعشيرته كانت تسكن بين كحلاء والعمارة، في تلك الحرب ولدت ولما كان غضبان هو الغالب فقد سماني بهذا الاسم والدي المرحوم رومي بن عكلة بن عران بن خيري بن ناشي بن عبد الله ابن الشيخ بهرام الكبير، وبعد التدقيق ثبت لي أن تلك الحرب وقعت عام ١٩٠٥، على هذا يقدر أن ولادتي كانت في تلك السنة...

سكن الصابئة قلعة صالح التي أسست عام ١٨٦٥ وفي العمارة التي أسست عام ١٨٦٠، كانت الأحوال مضطربة ويتحكم بأمور المجتمع شيوخ العشائر الذين كان نفوذهم يطغى على نفوذ الحكومة العثمانية هناك، كبرت في قلعة صالح وترعرعت هناك وأول أمر أذكره ورسخ في ذهني هو زواج أختي الكبرى المرحومة نوفة من المرحوم شيخ عبد الله الشيخ سام، وقد كانوا يسكنون في بيوت طينية واقعة بين دجلة وبين بساتين النخيل المحاذية للنهر، كانت الحالة الاجتماعية للناس متأخرة جدًا والمعيشة بسيطة.

كانت العملة المستعملة هي نقود إيرانية اسمها القران الذي يساوي عشرين فلس والربع والبارة أي الفلس والربع خمس بارات وكانت هناك عملة تركية تسمى المجيدي وقيمتها عشر قرانات.

سكن الصابئة قلعة صالح وقد أعطت الحكومة العثمانية أرض محلة الصابئة الحالية إلى عائلة كرسوع وهو من الخميسية، وبدأ كرسوع بتوزيع أراضي المحلة على أبناء الصابئة، وكرسوع جد والدي لأنه أبو أمه صينية، كان يسكن قلعة صالح كثير من المسلمين الذين هاجروا إليها أيضًا، وكذلك عدد من يهود العزير، وسكان قلعة صالح محاطون بعشائر البو محمد وبني مالك، وهؤلاء الأقوام لا يعرفون من الحياة إلا الزراعة والسطو والنهب ليلاً، وكثيرًا ما كان الناس يقتلون في الشوارع بدون حساب أو مسؤولية، ولم تكن القائمقامية ولا الحكومة التركية الممثلة بالجندرمة تهتم بما يقع بالبلدة، كانت معيشة الحكام على الرشوة...

سكن أهلنا في محلة خاصة من قلعة صالح سميت محلة الصابئة، على الضفة اليسرى من نهر دجلة، والنهر هناك كثير التعاريج، وكان أفراد طائفة الصابئة يحيون حياة بسيطة ملتصقين ببعضهم البعض خوفًا من هجمات أو دفعًا لهجمات العشائر المحيطة من كل جانب.

كنا نعيش أول الأمر في بيوت قصبية داخل حيطان من طين، وهذه البيوت مبنية من قصب الأهوار وحصران البواري مصنوعة من القصب أيضًا، يغطى بها البيت من أعلاه بما هو شبيه بأكواخ الأهوار حاليًا، (ويشرح هنا طريقة البناء من الهطر والشباب والبواري)...

في بيت والدي كان هناك بيت قصب كبير يستعمل للنوم، والثاني يسمى المضيف لاستقبال الضيوف، أما الحيوانات فتحفظ بعيدًا عن بيوت القصب، كان يعمل من فضلات البقر (المطال) وهي أقراص كبيرة تجفف وتستعمل كوقود بالإضافة إلى سعف النخيل والكرب، وكذلك الشوك الذي تلتقطه النساء

من البرية، ولم يكن هناك وسائل للتدفئة أو للطبخ من وقود آخر غير ما ذكرت ويستعمل هذا الوقود إما في التنور لعمل الخبز أو في المواقد لطبخ الطعام، يصنع التنور من الطين المخدوم كثيرًا، والنساء يقمن بصنع التنور بأنفسهن كما يصنعن السدانة وهي أصغر من التنور حجمًا، ولها غطاء وتستعمل لحفظ التمن أو الطحين أو الملح.

(١٨٠٠ ١٨٧١):

هو سنيچر بن عامر بن ناصر بن عزيز بن عبد الأحد بن سبتي بن معن بن زهرون، شخصية مندائية شعبية مشهورة ذاع صيته بين الناس لكونه صاحب كرامات، وتنبأ بما سيحصل بالمستقبل، وكان من الذين يجيدون عدة لغات قراءة وكتابة، إذ علم نفسه بنفسه وقد اطلع على كثير من الكتب الدينية للأديان السماوية، وكان له مركز اجتماعي وديني مرموق في عصره... هذه قصيدة من قصائده الشعبية المشهورة، كتبت باللهجة المحلية السائدة في زمانه، ينورنا فيها بمعلومات تحققت بعد سنين من وفاته، يتنبأ فيها ما سيحصل في قادم السنين. كُتبت القصيدة باللهجة التي يفهمها الناس في زمانه في جنوب العراق والأهواز، اشتهرت القصيدة وتناقلها الناس جيل بعد جيل، واشتهر معها ناظمها سنيچر لأنها ذكرت أحداث مستقبلية كانت في علم الغيب تحققت، ولربما أضاف لها الناس عبر القرنين الماضيين شيئًا بعد أن تحقق الحدث والله أعلم، المهم أن سنيچر أحيط بهالة من الكرامات وعلم الغيب وقراءة الطالع ومعرفة

المستقبل ، كان رحمه الحي العظيم كما تذكر لنا الأخبار المنقولة بين الناس واسع المعرفة يذكر لنا أحداث لم تحدث في زمانه ، وإنما حدثت بعد وفاته بسنين طويلة، نذكر منها بعض الأبيات كما وردت عبر الأجيال من الناس:

أخبـــركم خبـــر يصـــعب عليكم

نظمتـــه عـــن علـــم وعـــن خبـــاره[1]

أخبـــركم أنـــا يـــا(دايي)[2] عاجـــل

يضـــعف ديـــنكم فـــي أخـــر دارة[3]

يضـــعف ديـــنكم فـــي حكـــم(عيســـى)

وكلهـــا تصـــير فـــي حكمـــه نصـــارة[4]

ويجـــيكم زمـــن يكفينـــه الله شـــره

بيـــه الجـــار مـــا يـــأمن بجـــاره

وتحصـــل حـــرب ثمـــان ســـنين كوامـــل

وتهتـــز الأرض ومـــن الســـماء تنـــزل النـــارة[5]

وبـــالهواء تطيـــر الحديـــدة مثـــل الطيـــر

ومـــن ذيلهـــا تطلـــع نـــار وشـــراره

وبعـــدها تنتهـــي محنـــة كبيـــرة

وتنطفـــي نـــاره بلمـــع الأبصـــارة[6]

ونأمـــل بالســـلم والكـــون يبطـــل

ولكـــن فالنـــا يخيـــب بخســـاره

١- الأخبار.
٢- يا لمندائي (الصابئة).
٣- مرحلة.
٤- نصاري.
٥- النار.
٦- البصر.

ويـــأتي مـــن الغـــرب قـــوم أوغـــد
كلهـــم كفـــار وأكبـــر كفـــاره
مبحـــرين بعـــدد الفـــين خشـــبه[1]
ومثلهـــا الفـــين تحمـــيهم بالبحـــاره
ويخربـــون الأرض شـــرقا وغربًـــا
ونخســـر بـــالحرب يامـــا خســـاره
وتخـــرب أرض بابـــل مـــن منابتهـــا
وتغـــدي ديارهـــا ســـود الحجـــاره
ويخـــرب أرض واســـط وبغـــداد خلفـــه
وشـــط النيـــل مـــا تلكـــه خبـــاره
أيـــا ويـــل البصـــيره ثـــم يـــا ويـــل أهلهـــا
تـــدخلها بـــدو تـــدمرها دمـــاره
ويبقـــى قليـــل مـــن بعـــض الخيـــارى
ولا يبقـــى نفـــر عـــاد مـــن يعطـــي أخبـــاره

ويعـــم القحـــط فـــي بلـــد بابـــل
ويصـــير الخبـــز فـــي لـــون الغبـــاره
ويقـــل (الأبيضـــين) بكـــل منـــزل
وحتـــى الملـــح مـــن إيـــران طـــاره
وبعـــدها يظهـــر صـــرافه ظـــاهر
ويصـــرفه كـــل مايـــات الأهـــواره[2]

١- باخرة.
٢- الأهوار.

ومـــن (المنـــده)[1] يظـــل ســـبعون واحـــد
أعيـــــون امكســـــره ويطـــــيح داره
ويظهـــر بثاهيـــل[2] بصـــيوان مـــن ذهـــب
ولا يجـــــد للـــــدايي أي أخبـــــاره
ولا واحـــد تشـــوفه مـــن غيـــر جنســـك
وتصـــير الـــدايي كلهـــا بعـــز ويســـاره[3]
هـــذا مـــا بـــان عنـــدي فـــي كتـــايي
مؤكـــد مـــؤرخ مـــنقط باليســـاره

١- المندائيين.
٢ملالا لالاري.
٣- يسر.

في ضيافة الشباب... الأستاذ زهرون وهام سام :[1]

كانت ولادته عام ١٩١١ في قضاء قلعة صالح الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة من محافظة ميسان، تخرج في دار المعلمين سنة ١٩٣٧وخدم العلم والتعليم سنوات طوال في الأرياف والنواحي من محافظة ميسان وبغداد، تقاعد سنة ١٩٦٨، عشق ديانته منذ الصغر وقدم الكثير من المحاضرات القيمة عنها.

ذلك هو الأستاذ زهرون وهام سام، رحب بي كثيرًا واستقبلني فرحًا فبادرته بسؤال سريع...

*** متى بدأت علاقتك بالديانة المندائية؟**

– لم أجد ما يؤخره عن الإجابة فقال منذ الطفولة عاشرت أعمامي وهم رجال دين ومنهم الشيخ عبد الله والشيخ فرج وهم من قلعة صالح، وكنت مهتم بالديانة المندائية أتابعها بشغف، وساهمت في تكريس الشيخ فرج والشيخ سام

١- أجرى الحوار أسعد خماس.

والشيخ جبوري، وآخرون كما قمت بجمع التبرعات لبناء المندي، وحصلت على تكريم المجلس الروحاني عام ١٩٨٥ وتكريم مجلس الشؤون عام ١٩٩٧، وقدمت محاضرات عديدة عن الديانة المندائية.

*** سنوات الشباب كيف كانت؟**

– لقد كنت متعب بسبب وفاة والدي المبكرة، ولكني كنت اجتماعي التقى أناس كثيرين ساعدني ذلك تعلقي بالديانة المندائية وكوني "شكندة" آنذاك، وأبرز ما أذكره عن شبابي مساهمتي في عام ١٩٢٨م في عمل طقوس (المسخثة) لبعض الصابئة في إيران الذن توفوا بسبب حاث انفجار البارود المتبقي من الحرب العالمية الأولى وكان ذلك مع الشيخ رومي والشيخ دخيل والشيخ عبد الله والشيخ سام، وآخرون (رحمهم الله).

*** ما رأيك بشباب اليوم؟**

– أجده متحمس للقضايا الدينية وأنا أعتز بهم كثيرًا ولقائي محدود بهم بحكم كبر السن.

*** إذًا ما الفرق بين شباب الأمس وشباب اليوم؟**

– جيل الأمس كان متحمسًا للقضايا العلمية بصورة صحيحة وبعضهم كان لامعًا كالأستاذ غضبان رومي رحمه الله والأستاذ نعيم بدوي والأستاذة ناجية مراني، أما شباب اليوم فهم متحمسون للديانة المندائية ولكنهم لا يجدون من يعطيهم المادة المطلوبة.

*** بماذا تنصح الشاب؟**

– أنصحهم بالقيم والأخلاق التي أوصت بها ديانتنا كثيرًا، كالإيمان والوفاء والإخلاص والتعاون والمحبة إضافة إلى الاهتمام بالقضايا الدينية.

*** كيف تنظر إلى الزواج وما هي أسس نجاحه برأيك؟**

– الزواج هو سر الحياة وسنة الحياة تدعونا إلى الزواج وإنجاب الأطفال وتكوين عائلة والتعارف بين الأهل والزوجين يساهم في تحقيق الانسجام

والتفاهم اللازمين لإنجاح الزواج، وأدعو هنا بعض العوائل المندائية إلى نبذ المغالاة في المهور وعدم إثقال كاهل الشباب في الأمور المادية لصعوبة ظروف الحياة، فالبحث عن أخلاق الشخص ورجولته وعائلته أهم من المادة.

*** ما هي علاقتك بالدكتور عبد الجبار عبد الله؟**

– الدكتور عبد الجبار هو ابن عمي، وكنت ألتقيه عندما كان يسكن قربنا في ميسان، ولكنه انتقل إلى بغداد وبعدها انشغل بأسفاره وبحوثه الكثيرة التي قدم من خلالها الكثير للعالم.

*** كلمة أخيرة؟**

– أنا ضد الهجرة لأن العراق بلدنا الأم الذي سكن فيه أجدادنا منذ آلاف السنين، وأشكر مجلة المندائيين وأتمنى لها دوام التطور لأنها صوت الطائفة، وشكرًا لكم ثانية.

غادرته بعد أن شكرته على منحه لنا الوقت الكافي لإجراء اللقاء وعلى حسن ضيافته لنا.

حيدر جودة رعيد : ٥٦ عام في خدمة أبناء الطائفة

هو حيدر جودة رعيد سواد، ولد عام ١٨٩٥ وعين مختار لمحلة الصابئة في سوق الشيوخ عام ١٩٣٢ براتب (ثلاث ربيات) لأن العملة العراقية لم تكن متداولة آنذاك... كان هذا الرجل يعمل بلا كلل وبشهادة جميع أبناء المحلة يتابع ويراجع الدوائر الحكومية لتوفير متطلبات أبناء محلته، لقد كان يتخذ من الوجوه الاجتماعية البارزة في المحلة مجلس استشاري غير رسمي يتشاور ويتداول معهم في شؤون الملة، وكيفية الحصول على مكسب لإخوانه وكانوا يتعاونون معه في جهوده ومسعاه.

أذكر من هؤلاء الأخيار ممن توفاهم الله عنبر فارس وورد عنبر وفلاح عنيسي وخليل مكطوف وخزعل غلاب وخضر جاسر وضايف عوفي وعبد سالم وجعاز كناد وعبد مشعل وعودة شويع وحنظل براك رحمهم الله جميعًا، واعتذر عن نسيان الآخرين، ومن الأحياء كل من السيد شامي جايد والأستاذ المحامي طالب بدر الجادر والأستاذ المربي الفاضل ورد شجر منخي.

كان المرحوم حيدر جودة كثير التواجد في الدوائر الحكومية يطالب ويراجع لتنوير المحلة بالكهرباء حتى تمَّ ذلك عام ١٩٤٥ عبر كيبل مرر تحت الماء، ثم بدأ بالمطالبة بتأسيس مدرسة مختلطة، وفعلاً تأسست باسم مدرسة القادسية المختلطة، وطالب بمركز صحي وتأسس ولا يزال موجود، كما أنه كان يسعى لتحديد ملكية أبناء المحلة في دورهم التي لا تزال ملكًا مشاعًا للآن.

ويضاف إلى كل ما تقدم فقد كان حيدر جودة يحث إخوانه الصابئة المندائيين للتعايش والتعاون والمجاملة مع جيراننا وإخواننا المسلمين، وذلك بالمشاركة بأفراحهم وأتراحهم ومناسباتهم الدينية، كما كان يتوسط في حل الخلافات والمشكلات التي تحدث بين أبناء محلته إلى أن توفاه الله عام ١٩٨٨ بعد ستة وخمسين عام في خدمة طائفته وبنكران ذات، رحم الله ذلك الرجل المتفاني.

المناضل والفنان والمؤرخ الجليل عزيز سباهي

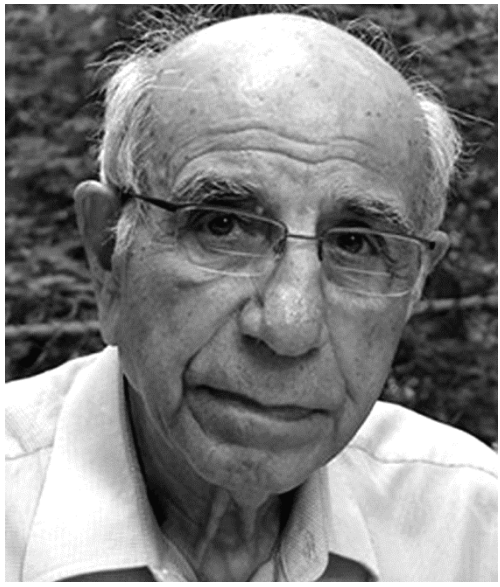

أقامت الجمعية المندائية في ستوكهولم احتفالية في التاسع عشر من آذار احتفاءً بذكرى عزيز سباهي ، وبحضور عدد كبير من منظمات المجتمع المدني والمندائية اكتظت بهم القاعة...

بعد الوقوف دقيقة حداد على روح الفقيد وأرواح شهداء الحركة الوطنية العراقية ألقيت الكلمات بحق الفقيد منها كلمة رئيس الهيئة الإدارية للجمعية، أكد فيها على استمرار نهج الجمعية بأحياء ذكرى الشخصيات الإبداعية العراقية والمندائية. ثم تحدث عن الفقيد مشيرًا إلى أنه قامة عراقية قل نظيرها بالعطاء والإنجاز من أجل وطن حر وشعب سعيد، ثم قرأت برقية الأستاذ فؤاد معصوم رئيس الجمهورية العراقية، ونعى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، بعدها عُرض فيلم وثائقي يتحدث عن أهم محطات الراحل عزيز سباهي من إعداد وإخراج الأستاذ عدي حزام عيال وإنتاج الجمعية المندائية في ستوكهولم.

رئيس تحرير مجلة الثقافة الجديدة الدكتور صالح ياسر تحدث عن مسيرة الفقيد النضالية، وكلمة منظمة الحزب الشيوعي العراقي، ثم ألقى الدكتور صلاح السام قصيدة بعنوان "يا دار أهلي" مطلعها (يبو سعود الوطن يرثيك عزيز الأهل يسباهي... أرشيف الحزب بو سعود... حزبك بيك متباهي)...

ثم كلمة جمعية زيوا المندائية وكلمة الدكتور عقيل الناصري وذكرياته عن الفقيد في الجزائر، وقرأ عريف الحفل قصيدة الشخصية التقدمية المعروفة سعدي جبار مكلف خص بها الاحتفالية "ما أرثى عزيز، الموت يخسه الموت... منهو الجفنه ومنهو الحمل تابوت"...

الأستاذ فوزي صبار قدَّم عرضًا عن (أصول الصابئة المندائيين) وهو من أهم المؤلفات التي صدرت عن المندائية، كلمة عائلة الفقيد ألقاها شقيقه عبد الإله الذي قاسمه حياة الفاقة والمعاناة، فكانت كلماته لها طعم آخر، تناول فيها محطات من حياة الفقيد ومسيرته النضالية الطويلة التي امتدت لسبعين عام كرسها وعائلته لخدمة قضية الشعب العراقي...

ثم جاءت كلمة ابن الفقيد المهندس زياد كلمات من ذهب سطرها وفاء لوالده الراحل، بعدها ألقى المهندس فهيم عيسى السليم قصيدة مسجلة، واختتم عريف الحفل الاحتفالية بالكلمات التالية: (هنيئًا لك فقيدنا الراحل عزيز سباهي، بهذا التاريخ المشرف الذي لا يمكن اختصاره بساعتين، فهو تاريخ طويل، ازدحم بالكثير من المنجزات النضالية والفكرية والثقافية والاجتماعية، وحتى المندائية في البحث والتأليف، فكلها جعلت منك علمًا عراقيًا باستحقاق، علم تجانست ألوانه الوطنية والإنسانية والمندائية والفكرية والفنية، بلون واحد جميل، اسمه عزيز سباهي...

وهنا يكمن سر اعتزاز من تعرف عليك أو من رافقك مسيرتك الوطنية، أو عمل معك أو تعرف عليك وصادقك... أما الاعتزاز المتميز لأبناء طائفتك بك، فلأنك أعطيت الهويتين، هويتك الوطنية الإنسانية وهويتك المندائية لتؤكد بذلك

أن الشيوعي هو أول من يهتم ويحافظ على تقاليد وتراث شعبه بكل أطيافه وألوانه، فنكرر هنيئًا لك أيها الرجل الكبير يا (صاحب المواهب المتعددة)، أيتها القامة العراقية الشامخة، فإنك لن تمَّت وستبقى خالدًا والخالدون أحياء مدى الدهر...

ناجية غافل المراني :

وصفها المنصفون أنها مندائية أصيلة وأنها رائدة المبدعات المندائيات ، وأنها قدمت عطاء متميز لأبناء طائفتها ، فغدت قدوة لكل النساء المندائيات ، لأنها أصبحت إحدى المراجع في الأدب والدين واللغة ، لقد كرمت المربية الفاضلة ولكن تكريمها هو حب الناس لها وتقديرهم وامتنانهم لعطائها المتميز ، إنها رمز المرأة المندائية المتميزة.

تحية إكبار وإجلال للرائدة المبدعة الأستاذة ناجية وستبقى منار نهتدي به ونجم لامع في سماء المعرفة ، قالت إن في الدين المندائي كنوز أخلاقية تهدف إلى رقي الإنسان ، جسدتها في كتاباتها ومؤلفاتها وترجماتها وأشعارها.

ولدت الراحلة في محافظة العمارة عام ١٩١٨ ، وفيها أكملت دراسة الابتدائية والثانوية ، وتخرجت من دار المعلمات في بغداد عام ١٩٣٥م... فشغلت منصب معلمة ومديرة مدرسة لمدة ٢٧ عام ، واصلت دراستها بعد التقاعد عام ١٩٦٣

فحصلت على البكالوريوس من بغداد، وعلى الماجستير في الأدب الانجليزي من الجامعة الأمريكية في بيروت.

كانت ناشطة في مجال البحث والتأليف ؛ فأصدرت كتاب (بين العربية والانجليزية كلمات متناظرة) عام ١٩٧٨ ، وكتاب (الحب بين تراثين) عام ١٩٨٠، وكتاب (آثار عربية في حكايات كنتر بري) عام ١٩٨١، وكتاب (هنا بدأ التاريخ) مترجم عام ١٩٨٠، وكتاب (مفاهيم صابئية مندائية) عام ١٩٨٢، وكتاب (كلمات عربية انجليزية دخيلة) عام ١٩٩٠.

وهناك الكثير من البحوث والمقالات والمقطوعات الشعرية نشرت لها في الصحف المحلية والعربية، وساهمت في الندوات وألقيت محاضرات، الرحمة والمغفرة إلى المربية الفاضلة ناجية المراني، ودعاءنا أن يكون مثواها عالم الأنوار.

يوسف سالم بنحيتان (أبو عبد الواحد) :

رجل كيِّس يملك من الحكمة والمعرفة والمعلومات الدينية الشيء الكثير ، كان مقربًا جدًا من الكنزفرا نجم زهرون رواه ناديله، ويتشاور معه في كافة الأمور الدينية والاجتماعية ، كان الرجل يفهم كثيرًا في الفراضة بين الأطراف المتخاصمة، وقد استعان بخبرته عدد من شيوخ العشائر وخاصة الشيخ محسن الدنبوس شيخ عشائر جنانه في جنوب العراق ، وقد رافقته بالحضور في مجالس كبيرة في عشائر جنوب العراق وخاصة في البصرة والعمارة، وكان حكيمًا دقيقًا صادقًا أمينًا مصيبًا في آرائه وطروحاته ومناقشاته وأحكامه التي يحترمها الجميع ويلتزم بتنفيذها رؤساء العشائر.

عندما يجلس للفراضة بداية يشرط على الأطراف المتخاصمة أن يتعهدوا أمام الجميع بتنفيذ ما يفرضه عليهم من حكم، ثم هناك من يكفلهم بتنفيذ الحكم ودائمًا يكون رئيس عشيرة أو رجل دين أو شخصية لها قيمتها ووزنها في القرية أو العشيرة... وكانت أحكامه مقنعة ومرضية لأنها مبنية على الحق والعدل والصدق والأمانة.

وحدثني مرة قال إذا تخاصم شخصان وأردت أن تحكم بينهما، فإن كانا مختلين عقليًا فاقسم عقلك بينهما ودعهما يتفاهمان ، وإذا حصل خلاف بين عاقل ومجنون، فأعطى نصف عقل العاقل للمجنون، ودعهما يتفاهمان، والمشكلة إذا كان الاثنان عاقلين؛ فأجاب: العقلاء لا يحتاجون لمن يحل مشاكلهم لأنهم عقلاء يستطيعون التفاهم.

قال لقد تعلمت الفراضة من حكيم زمانه رجل اسمه عريب العُربة، كان له مجلس كبير في عشائر العمارة تأتيه الناس من كل صوب وحدب، وكان لا يخطئ الحكم والفراضة ، فكانت العشائر تستشيره في كل صغيرة وكبيرة ، وكان هذا الرجل موضع احترام وتقدير أهل زمانه.

ولد أبو عبد الواحد رحمه الله في ناحية المشرح (الحلفاية) في حاضرة العمارة سنة ١٨٩٥ وتوفي في سنة ١٩٧١ في مدينة البصرة محلة الجمهورية في لاين الصبة، كان له مجلس في محلة الصبة يتردد عليه عدد من أصدقاءه والمعجبين بفطنته وحلاوة أحاديثه وحكمته، وكانوا يجلسون في أمسيات الليالي يتسامرون ويرشفون فناجين القهوة العربية التي كان يعملها بعناية بيده رحمه الله...

لازلت أذكر الهاون الكبير المصنوع من المرمر الجوزي الفاتح والمنقلة الكبيرة ومقلاة القهوة وأنواع الدلال ورائحة الهيل وطعم القهوة الفواح، ولازلت أحفظ عنه كثير من الحكايات الجميلة الطريفة التي لا تخلو من حكمة وموعظة وعبرة من عبر الحياة، لقد كان كريم النفس يجود بما يملك من مال بسيط ودائمًا يحب أن يشاركه طعامه الآخرين، ويكون في غاية السعادة إذا قدموا عليه ضيوف، إنها أيام زمان... أيام الخير والبركة والكرم والأمان رحم الله أيام زمان.

المهندس حامد نزال السعودي:

هذا المندائي الغيور ولد في قضاء سوق الشيوخ من حاضرة الناصرية عام ١٩٣٩، وأكمل دراسته الابتدائية فيها، وأكمل المتوسطة والإعدادية في مدينة البصرة، كان رحمه الله يهوى الأدب وله إصدارات جميلة في القصة والمسرح.

حصل على الشهادة الأولية الجامعية في هندسة الميكانيكا من انجلترا، تطوع في القوة الجوية العراقية برتبة ضابط مهندس واختص في هندسة الطائرات، وكان من المهندسين المبدعين الذين عملوا بجدٍ وتفانٍ في بناء القوة الجوية العراقية، تدرج في الرقية والمناصب وقاد جناح القاصفات بكفاءة عالية برتبة عميد مهندس، كان يواصل الليل بالنهار لتدريب المهندسين والفنيين على الطائرات النفاذة المتقدمة تكنولوجيًا.

إضافة لواجباته عمل في مؤسسة البحث العلمي في مجال الطاقة الشمسية، هذه الجهود وهذه المسؤوليات الكبيرة أصيب بذبحة صدرية تطورت مع الأسف، أجرى على إثرها عملية جراحية في القلب، اضطر لمغادرة العراق إلى هولندا واستقر وعائلته هناك، إلى أن وافاه الأجل رحمه الله.

لقد كان أبو سام عضوًا فاعلاً في المجلس الروحاني الأعلى في بغداد، وكان من المفكرين والناشطين، وفي هولندا أسَّس أول جمعية مندائية، تطورت مع الوقت إلى الفدرالية المندائية في هولندا التي تضم عددًا من الجمعيات المندائية، وانتخب أبو سام رئيسًا لها، والتي مازالت قائمة حتى الآن يقودها أخوه الأستاذ مانع نزال السعودي بكفاءة واقتدار.

ألَّف كتابًا أسماه (حقيقة الصابئة المندائيين) كبحث موسع في ٥٤٤ صفحة في تاريخ أمة حاضرة منسية.

أ. د. طالب مهدي الخفاجي:

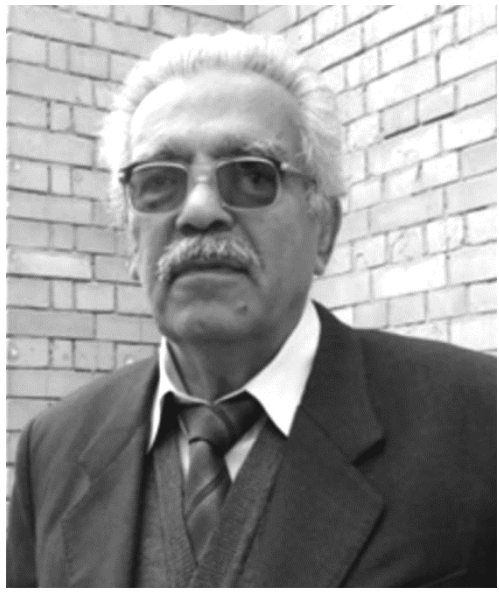

كان معنا عضوًا فاعلاً في المجلس الروحاني الأعلى لطائفة الصابئة المندائيين، وكان رحمه الحي العظيم ذا شخصية لها حضورها وفكرها النير وقرارها الأمين الصادق، أستاذ الفيزياء المتمرس... ذو هيبة ووقار ومنطق يسر السامع، وآراءه صائبة ومقنعة لجميع أعضاء المجلس، له مؤلفات عديدة في علم الفيزياء، وكتب في الخيال العلمي، زرته في بيته في بغداد محلة السيدية فأعجبت بمكتبته العامرة التي تضم أمهات الكتب العلمية، وأعجبت بمؤلفاته العديدة.

ساعدنا نحن اللجنة المشرفة على ترجمة كتاب الكنزا ربا بحصولنا على نسخ قديمة من الكنزا ربا من مكتبة المتحف العراقي، وكنت أينما أذهب برفقته في حينها نجد تلاميذه وزملاءه في المراكز العلمية يقدمون لنا المساعدة والخدمات وينادونه بكلمة أستاذي، تقديرًا وإجلالاً واحترامًا...

نحن عدد من أعضاء المجلس الروحاني الأعلى شكلنا في وقتها مجموعة لتطوير عمل المجلس من الأساتذة البروفسور طالب الخفاجي والبروفسور صبيح مدلول ، والأستاذ الدكتور رفعت لازم والدكتور أنيس زهرون ، وأنا المتحدث د. بشير عبد الواحد ، وفعلاً باشرنا بعدة لقاءات أخوية ومناقشة أفكار تخدم العمل المندائي ، بعدها قررنا أن يكون العمل جماعي يشمل كل أعضاء المجلس الروحاني الأعلى.

وفعلاً انتظم الجميع بعمل موحد تمخض عن صدور نظام داخلي جديد وتشكيل ثلاث مجالس فعالة ؛ (مجلس شؤون عام ، مجلس عموم ، مجلس روحاني) ، وإجراء انتخابات جديدة ، ووضع خطة عمل لإنجاز مشاريع نوعية للطائفة أسفرت عن ترجمة كتاب الكنزا ربا وتعاليم النبي يهيا يوهانا ، وبناء مدرسة مندائية ، واستحداث المحكمة الشرعية المندائية ، وتأسيس مركز لدراسات وإصدار مجلة آفاق مندائية، وأعمال كثيرة لا مجال هنا لذكرها.

ديري السبتي– أول مختار لمحلة الصابئة المندائيين في سوق الشيوخ محافظة ذي قار الآن ، كانت في النصف الأول من القرن الماضي ، تسمى (لواء المنتفك) ، والمنتفك مجموعة كبيرة من العشائر يتصدرها (آل السعدون) أجداد رئيس وزراء العراق (عبد المحسن السعدون)، كما أن ناصر باشا السعدون هو الذي بنى مدينة الناصرية.

كان المنتفك وبتخويل من السلطة العثمانية يهيمنون على المنطقة الجنوبية من العراق ، وكان لهم وكيل اسمه (نجي العودة) يسكن قريبًا من سوق الشيوخ ، وكان متسلط ظالم على الأهالي، لا سيما أبناء محلة الصابئة المندائيين حتى أنه اختطف فتاة وتزوجها رغمًا عنها وعن أهلها.

كان (نجي العودة) يدعي أنه لآل السعدون حصة في طابو المحلة هي (١/١٦ أو كما كان يقول لهم نصف الثُمن) ، ويطالبهم بدفع مبلغ سنوي كإيجار يضطر أبناء المحلة أن يجمعوه بصعوبة.

كان المرحوم (ديري السبتي) أول مختار معين للمحلة، وكان مدافعًا مخلصًا عن أبناء محلته، يناقش الوكيل (نجي العودة) ويعترض على قراراته الظالمة وذلك طبعًا لا يروق للوكيل المتسلط، فتآمر على قتله، حيث أمر رجاله أو عبيده أن يغتالوا ديري وهو في فراشه كما سمعنا هذه الرواية من أهلنا المندائيين، فكان المرحوم ديري السبتي ضحية لدفاعه عن إخوانه المندائيين.

جاء من بعد ديري المختار (منحوش السبتي) تلاه المختار (عبد الخضر السبتي) ومن بعده (حيدر جودة السيفي) لمدة طويلة من ١٩٣٢ إلى وفاته ١٩٨٨، أخر مختار هو السيد سمير نعمان عنيسى البدري المهناوي الموجود في مالمو الآن.

أبو جبار (ياسر صكر الحيدر) :

لن أصدق... مرَّ أكثر من عشرين سنة على رحيل طيب الذكر "أبو جبار"؛ هذا الرجل المهيب في شخصيته الفذة، ولباسه المتميز وهدوءه وعنايته الفائقة بلحيته وشواربه، وكأنه أمير من الأمراء، كان رواه ناويلة معلمًا من معالم شارع النهر يمثل التراث المندائي بأبهى صوره، بمحله الكبير، بمقتنياته التراثية الفاخرة التي تعبر عن تراث بلاد ما بين النهرين وعن المهارة الفائقة للمبدعين المندائيين في فن الصياغة والمينا وصناعة الدلال والسيوف والخناجر وتخليد الآثار العراقية ونشرها في العالم عن طريق السواح المنبهرين بجمالها ودقة صناعتها، وحبهم لحضارات وادي الرافدين.

لقد كان محله عبارة عن متحف صغير يضم مقتنيات نادرة تنشد بحب العراقيين وحضاراتهم وآثارهم البديعة، هذا المتحف الجميل يكمله قسم آخر جميل يشرف عليه نسيبه خليل عبد الجبار الحيدر، وفي الركن الآخر ولده الفنان ناجي رحمه الله، وفي ركن آخر الصائغ المتميز ولده الأصغر نزار، حقًا إنه متحف من عدة أقسام بضاعتها مختارة بعناية ودقة وأصالة، لم

يعرضوا يومًا بضاعة مستوردة في متحفهم ولا بضاعة جملة لغرض الكسب السريع، ما يعرضون إلا ما صنعت أياديهم وأيادي عمالهم المهرة...

وعندما قرر ولده نزار أن يفتح محلاً للذهب في فندق فلسطين ميريديان، كان محلاً نوعيًا لا يوجد نظيره في بغداد، معرض أُبهة راقي بكل المقاييس، ديكوراته، أثاثه، فاتريناته، معروضاته... كل شيء متميز حتى القهوة التي تقدم للزبائن والضيف متميزة، حتى النادل الذي يصنعها ويقدمها شخصية متميزة، حقًا متحف ذهبي كنا نتباهى به، وكنا كمسؤولي طائفة في حينها نلتقي مع الضيوف في هذا المحل الراقي.

مازلت أذكر يوم وداع أبي جبار رواه ناويلة من بيته الكبير، لقد تجمع المندائيون من كل صوب وحدب فكان وداعًا مهيبًا توفرت فيه كل المستلزمات الدينية، لقد كان دكتور جبار ابنه البكر متماسكًا يدير الأمور بكفاءة وحكمة، ولكن ولده ناجي لم يتمالك نفسه فأجهش في البكاء لأنه صديقه وأبوه ورافقه من الصبا، فعز عليه هذا الموقف الجلل، كان نزار في تركيا في حينها، ولكننا إخوته في مجلس الشؤون كنا كلنا نزار، إنها حقًا ذكرى عطرة خلدها أولاده وبناته في الثالث والسابع ودورة السنة ولا ننسى طعم رطب نخلات البرحي التي زرعها الراحل بيده في حديقة الدار...

والآن وبعد عشرين عام مضت الكل تذكر أبا جبار بكل إجلال واحترام، إنه الوفاء وردّ جزء يسير من الجميل للتربية وبناء الأساس الراقي، وتخليدًا لذكراه العطرة التي من حقكم أيها الإخوة والأخوات أن تفخروا وتتباهوا بها، إلى جنة الخلد أبا جبار (ياسر صكر الحيدر)، وأنت يا آدم يهانة بر سيمت مع الأصفياء في آلمة دنهورة تحيا بلا أوجاع ولا أمراض ولا موت ثاني، حياة أبدية مع آبائك الأولين الذين وهبوك النشمثا من الدموثا وإليه عدت بعد أن تركت في هذه الألمة ذكري عطرة يفتخر بها أولادك وأحفادك ومحبيك.

مكلف سوادي (أبو قاسم) :

ولد في ناحية المشرح (الحلفاية) في حاضرة العمارة، أب لثلاثة أولاد وبنتين، أولاده مدرسين ومعلمين في ذلك الزمان، ولد سنة ١٨٧٧ وتوفي سنة ١٩٧٨.

كان رجلاً هادئًا وقورًا قليل الكلام، يشتري الكلام ويصغي للحديث ولا يبيع منه إلا القليل، كان يحفظ الكثير من الأمثال والمواويل والأبوذية ويدندن بها مع نفسه، عمل في مهنة الصياغة مع شقيقه الأصغر مهتلف أبو غريب لسنين طويلة، ولم يختلفا يوم واحد على أمر، كان معروف عنه أنه يذهب إلى جراج السيارات ليصطاد الضيوف ويأتي بهم للبيت يتسامر معهم ويكرمهم ويهتم بهم.

لقد كان يهتم بالضيف الفقير أكثر من اهتمامه بالضيف المقتدر، وعندما سأل عن سر ذلك قال هذا الفقير إن أكرمته وقدمت له طعامًا فاخرًا وكسوته يتحدث بهذا الكرم أينما حل وأينما رحل، بينما المقتدر صاحب المال مهما قدمت له من طعام وكساء فهو عنده أحسن منه، ويعتبر ذلك أمرًا عاديًا لا يستحق الحديث، هذا محتاج للحديث الجميل والكلمة الحلوة والموعظة الحسنة.

أذكر في إحدى السنين كنت في زيارة لهم في مدينة العمارة، وأثناء عودتي معه من الدكان إلى البيت وكان شهر تموز عند الظهيرة والجو حار جدًا... أعطاني ربع دينار وقال لي ابتع كيلوين خيار من صاحب العربانة، وسألت بائع الخيار بكم كيلو الخيار فأجاب بعشرين فلس، قلت له أريد كيلوين وسلمته الربع دينار، وأعطاني الرجل كيس الخيار وباقي المال، وعند وصولنا للبيت أعطيته باقي المال، فتعجب من كثرتها فقال هذا باقي دينار وأنا أعطيتك ربع دينار، عليك أن تعود وتعطي هذه الأموال لصاحب العربانة وتحاسبه بالمضبوط...

عدت وأمري إلى الله سبحانه، فلم أجد صاحب العربانة وسألت عنه صاحب الدكان، قال باع ما عنده من خيار وذهب ليجلب المزيد من العلوة، وعندما

عاد سلمته النقود ، ففرح فرحًا كبيرًا وقال لي: رحمة على والديك أنا دايخ لا أعرف أين ذهبت أموالي... وحاسبني بالمضبوط وأعاد لي الربع دينار وأعطاني كيس الخيار بدون أن يأخذ ثمنه...

عدت للبيت وأعطيت جدي الربع دينار وقلت له أعطاني هذا الخيار ولم يقبل أن يأخذ ثمنه ، فأعطاني أربعين فلس وقال تعود وتعطيها لأبي العربانة ، وأمري لله ذهبت فلم أجد أبو العربانة وسلمت النقود لصاحب الدكان ورجوته أن يعطيها لصاحب العربانة ، وفي اليوم الثاني رأيته فسألته فقال عمي استلمت النقود أشكرك ، ولكن هذا كيس خيار هدية مني لك ، فقلت له عمي أرجوك اعفيني لأن جدي لا يقبل... وأخذت منه خيارة واحدة أكلتها في الطريق ، ولم أقل شيء لجدي حتى لا يقول أعيدها له ، ولا أدري كيف أعيدها؟...

رحم الله أبا القاسم الرجل النزيه الصادق الأمين.

أول ضابط مندائي : المرحوم أسعد جابر غالي :

ولد في قلعة صالح في محافظة ميسان عام ١٩٠٨، دخل الملالي عام ١٩١٤ زمن الترك ، الابتدائية عام ١٩١٥ ، ووصل مرحلة الرابعة الابتدائي عام ١٩١٩، ثم ترك المدرسة في هذه السنة بسبب وفاة والدته، فغادر إلى البصرة حيث اشتغل مع الصائغ (سعد رهيف).

ولما أعلن الحكم الوطني عن تأسيس الجيش العراقي عام ١٩٢١، وجه دعوة للشباب العراقيين للانخراط في الجيش، دخل أسعد المدرسة العسكرية الملكية عام ١٩٢٦، وتخرج ملازم واشترك في أحداث ثورة مايس ١٩٤١، وأسر في موقع (سن الذبان) ضمن من أسر من أبناء القوات المسلحة من قبل الانجليز، تمَّ إطلاق سراحه بعد انتهاء الثورة، تقلد بعدها عدد من الرتب العسكرية حتى وصل رتبة رئيس أول (رائد) عام ١٩٤٤، ثم أحيل على التقاعد حسب قائمة نصف الراتب بسبب جرأته وشجاره المستمر مع رؤوسائه، لأنه كان لا يخفي انتسابه لطائفته ، ولإصراره على ذكر لقبه من اسمه الكامل (أسعد جابر الصابئي).

وافق وزير الدفاع على إعادته إلى الجيش ثانيًا بنفس الرتبة، حيث بقي سنتين ولكنه لم يلبث أن تعرض للشجار مع الضباط ثانية، مما أدى إلى إحالته على التقاعد عام ١٩٤٦ نهائيًا، وبعد التقاعد اشتغل بوظائف مدنية، فعين في دائرة الميناء في البصرة، ومشرف في دائرة التموين في العمارة، وزاول أعمال حرة في بغداد، اعتزل العمل واعتكف في داره حتى وافاه الأجل عام ١٩٧٧، وشيع عسكريًا إلى مقبرة أبي غريب.

كان الراحل أسعد جابر رجلاً فاعلاً حتى رفاقه في الجيش كانوا يطلقون عليه اسم (أبو زناد) لشجاعته واندفاعه ، وقد شارك في المعارك التي دارت في شمال الوطن آنذاك، ومما يروى عنه أنه كان قد حفر له موضعًا، وكان آمره

في موضع آخر، فطلب منه إخلاء موضعه له، فاستجاب للأمر وجاءت شظية طائشة قضت على الآمر وسلم أسعد.

كما يروى عنه أيضًا أنه كان مدربًا للطلاب الحربيين، وكان الأمير غازي ضمن إحدى تلك الفصائل، فأقدم الأمير على ارتكاب أمر غير منضبط أثناء التدريب، مما اضطر أسعد إلى معاقبته بالهرولة والزحف، وبلغ الأمر والده الملك فيصل الذي استنكر ذلك واتصل بالضابط الأعلى رتبة والذي أوضح له أن مثل هذا الأمر يعد انضباطًا عسكريًا، ولا لوم على الضابط أسعد، فاقتنع الملك وأمر بتكريم الضابط أسعد لقوة التزاماته العسكرية، ومما يذكر أنه كان يتقن اللغتين الانجليزية والفارسية...

تغمده الحي العظيم برحمته وأسكنه عالم الأنوار.

فنان مندائي: أسمر هرمز:

مضى عدة أعوام على رحيل الصائغ الفنان أسمر آل زهرون، إذ كان قد غادر دنيانا في ٦-١٢-١٩٩٩، والحديث عن أسمر آل زهرون ذو شجون، فهو فنان له شخصية واضحة وله حضوره في العراق وأجزاء من الوطن العربي وأوروبا من خلال العديد من المعارض التي أقامها، أو التي شارك فيها.

لقد تكاملت في أسمر موهبته الشخصية وما استلهمه من بيئته الأسرية المتخصصة في الصياغة والأعمال الفنية ذات الصلة بها، رأت عينا (أسمر آل زهرون) بن هرمز ملا خضر النور في سنة ١٩١٣ في محافظة ميسان في مسكن والده الواقع في شارع بغداد، ولكنه نشأ وترعرع في بغداد منذ بداية العشرينات من القرن العشرين، ففيها أكمل دراسته الابتدائية وتتلمذ على يد والده في مجال الصياغة، حيث نهل من تراث أسرة تخصصت في فن الصياغة وتوارثتها لمدة تزيد على ٢٠٠ سنة، وهي أول من أدخلت المينا السوداء من قبل الجد الأكبر ملا خضر الذي تعلمها خلال سفره إلى مدينة (وان) في أرمينيا، وهي مدينة الأعمال الفنية في الصياغة، وذلك في منتصف القرن التاسع عشر، وكذلك المينا الملونة من قبل والده هرمز ملا خضر.

كما ساعده على البروز عاملان هما: جلبه المواد الخاصة بالمينا الملونة والفرن الخاص بها من فرنسا بمساعدة صديقه الأب انستاس الكرملي، وكان ذلك في بداية عقد العشرينات من القرن العشرين، وثانيًا إجادته عدة لغات أجنبية منها التركية والفارسية والعبرية والانجليزية، حيث كان يترجم اللغة المندائية ويفسرها إلى المستشرقة والكاتبة (مسز دراور) إضافة إلى الآرامية والسريانية حيث كان يدرس الأيتام في أحد الأديرة الواقعة في بغداد أصول الصياغة.

كان أسمر فناناً بارعًا في النقش والرسم والخط العربي والصياغة والنحت وحفر قوالب الحديد ، وفي هذا الإطار كانت أغلب النتاجات الفنية التي قدمها وارتقى بها بعد أن أبدع فيها ، ولعل بعض المحطات التي سنذكرها في حياته ترسم ملامح مسيرته الفنية.

– ففي عام ١٩٣٢ شهد أول مساهمة دولية له عبر لوحات منقوشة بالفضة المذهبة ضمن معرض بغداد الزراعي الصناعي الدولي وقتذاك.

– ١٩٣٤ انتدب لتمثيل القطر في معرض باري في إيطاليا.

– ١٩٣٧ انتدب لتمثيل القطر في المعرض الزراعي الصناعي بباريس.

– ١٩٣٩ انتدب لتمثيل القطر في معرض نيويورك الزراعي والصناعي.

– ثم حمل الفن مغتربًا بين روما وباريس فزادت خبرته بالدراسة واكتسب خبرات مضافة، وطور قابلياته الفنية بمعاهدة إيطاليا الفنية.

– كان شاهدًا على أحداث الحرب العالمية الثانية في إيطاليا وفرنسا وتونس ، حيث أقام بها لمدة أكثر من سنة وما شاهده من أحداث واحتلال القوات الألمانية ودول التحالف.

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عاد إلى العراق وأكمل مسيرته الفنية بما تزود به من معرفة في المهجر ، فانصرف إلى إقامة المعارض الشخصية والاشتغال في المتحف الحربي وتقديمه برنامج خاص كان يقدمه الفنان نوري الراوي.

وفي عام ١٩٦٤ عاد إلى باريس حيث أكمل مشواره الفني واختصاصه كنقاش محترف ومختص بعمل شعارات نبلاء أوروبا (الأختام) على محابس الذهب ، وحاز على عضوية الحرفيين لمحافظة باريس للفنانين.

ومن معاصريه من الفنانين الرواد الأوائل هم جواد سليم ومحمد غني حكمت وعطا صبري وخالد الرحال وحافظ الدروبي وفائق حسن وخالد الجادر وغيرهم كثيرون.

في عام ١٩٧٢ لبى دعوة العودة إلى الوطن للمساهمة في تأسيس قسم فني للمعادن النفيسة يتولى إحياء التراث العراقي الأصيل في الصياغة وكافة فروعه، وتقديم خبراته الحديثة في عمل وطبع الميداليات والبادجات والهدايا كنواة لمعهد فني متخصص بفن الصياغة على غرار ما هو موجود في الدول الأوروبية.

أصدر مجلس قيادة الثورة الموقر قرارًا بتعيين الفنان أسمر آل زهرون بدرجة مدير في وزارة الثقافة والإعلام، وفي عام ١٩٧٢ تأسس قسم الفنيات للمعادن الذي تولى إحياء التراث العراقي بفنون الصياغة، وأصبح أسمر مديرًا له مع فنانين من أقاربه؛ هما فؤاد ناجي هرمز وخيام رحيم زهرون ليكونا النبتة الأولى لمسيرة القسم.

لقد رحل أسمر آل زهرون وترك ما يعز على الرحيل، سواء فيما أنتج أو في ذكريات حفظتها له نفوس وضمائر معارفه وأصدقائه.

عبد الواحد يوسف سالم :

إنه أبي رحمه الله... في عام ١٩٤٣ كان من المقاتلين في فوج موسى الكاظم في بغداد ، اشترك في حركة رشيد عالي الكيلاني ومن الذين اشتركوا في تطويق قاعدة الحبانية الانجليزية في حينها ، كانت والدتي حامل بي في شهرها الأخير ، وقد وردت الأخبار إلى العمارة أن الانجليز قصفوا بالطائرات فوج موسى الكاظم وأبادوه عن بكرة أبيه ، بحيث لم يرجع منهم المخبر...

حزن أهل والدي حزناً شديدًا في الحلفاية (ناحية المشرح) ، وهم بين الشك واليقين ، ومرت عليهم أيام ثقيلة ، وهم يراجعون ثكنة العمارة العسكرية ، فيقولون لهم لقد استشهد الجميع ولم يبقَ نفاخ النار من الفوج ، ويوم ولادة أمي جاء البشير يبشر أن عبد الواحد قد وصل إلى الحلفاية ، وقد شاهدوه في جراج السيارات.

فرح الجميع وهلهلت النساء، والتهاني تنهال على جدي يوسف أبو عبد الواحد في مضيفه البسيط، ولهذا جدي قال لقد جاء إلى الدنيا بشير من البشرى، وحكى والدي قصة نجاته لأهله وأحبابه وعندما كبرنا ذكرونا بالحكاية، يقول والدي : كنا ثلاثة مندائيين في الملجأ مع عدد من الضباط والجنود، وهو عبارة عن شق أرضي حفرناه جميعًا لنحتمي به، وعندما ضاق بنا؛ ضايقنا البعض أثناء تناول القصعة في الغذاء، وأسمعونا كلامًا غليظًا لأننا صابئة مندائيون، فاضطررنا لترك الملجأ، وبادرنا فورًا بحفر ملجأ لنا يبعد عشرين مترًا عن هذا الملجأ.

وفي صباح اليوم الثاني فجرًا بدأت الطائرات الانجليزية بالقصف، ونحن ندعو ونتضرع إلى هيي قدمايي (الله الحي العظيم) أن يحفظنا وينجينا، وفجأة وقعت قذيفة في الملجأ الكبير الذي كنا فيه ومات من فيه، وغطانا التراب والشظايا، لكننا نحن الثلاثة خرجنا سالمين، وشاهدنا حجم الدمار الكبير الذي لحق بمنتسبي الفوج ومعداته، وكان هناك ضابط برتبة نقيب جريح معاون آمر الفوج، بذلنا جهدًا كبيرًا لإنقاذه، وحملناه إلى الخلفيات، وكان الموقف في هرج ومرج ولا توجد أوامر واضحة، ارتباك في كل الأمور، وأشار علينا الضابط الجريح بعد أن تمَّ إسعافه وحصل على سيارة أن نرافقه إلى بغداد، وهكذا كان... وأعطانا الرجل دينارًا تقاسمناه وعدنا كل إلى أهله سالمين.

كان أبي صائغًا ماهرًا، ورسامًا مبدعًا ونقاشًا على الفضة والذهب يمتاز بالدقة وجمال الصنعة والذوق الراقي، يجيد اللغة الانجليزية وشيء من اللغة الفارسية والهندية بحكم متطلبات العمل، في الأربعينيات من القرن الماضي كان له محل للمصوغات الفضية في شارع أنس في البصرة، وعند هجرة اليهود عام ١٩٤٨ انتقل إلى سوق الخضيري للصاغة، فأسس محل وورشة لصياغة الذهب، وفي السبعينيات انتقل إلى شارع الصيادلة المشهور في العشار...

في الثمانينيات وأثناء اشتداد القصف على البصرة، عند احتلال الفاو من قبل الإيرانيين؛ انتقل إلى بغداد في شارع النهر (المستنصر)، وأنشأ محل لصياغة الجملة بمساعدتي، ودعمي له غير المحدود، ومرض والدي فنقلناه إلى ألمانيا، وهناك وافته المنية عام ٢٠٠٤ رواه ناويله (رحمه الله).

لقد عاش مكافحًا هادئًا حكيمًا متعلمًا ماهرًا في صنعته، أمينًا صادقًا، ربَّانا نحن أولاده وبناته العشرة وعلمنا، وخرجنا جميعًا من الجامعات، فمنا المهندس ومنا الطبيب ومنا المدرس، إنها حقًا ذكرى عطرة، نحن أولاده نفتخر ونتباهى بها وباسم والدنا أبو بشير.

* * * *

في ضيافة الشباب : لقاء مع عبد الواحد يوسف سالم :[1]

دائمًا أراه برفقة ولده بشير عبد الواحد رئيس مجلس شؤون الطائفة العام، سواء في العمل أو في مندي الطائفة في بغداد، وقد التقيتهما في محل عمله في شارع النهر، وطرحت عليه جملة من الأسئلة فأجاب مشكورًا...

*** متى ولدت وأين؟**

– ولدت عام ١٩١٦ في مدينة المشرح والتي تسمى الحلفايا في محافظة ميسان.

*** أعلم أنك تحسن القراءة والكتابة، كيف تعلمتها؟**

– تعلمت القراءة والكتابة في مدارس الحلفايا، وأنهيت الدراسة الابتدائية هناك قبل أن ننتقل إلى البصرة.

١- أجرى الحوار : الألأاذ نزار ياسر صكر

*** لقد قضيت جُل عمرك تعمل مهنة الصياغة فأين تعلمتها ؟ وأين عملت ؟ وبماذا تخصصت ضمن هذه المهنة؟**

– تعلمت فن الصياغة وعملت فيها منذ عام ١٩٣٥ ، وفي بداية الأربعينيات قدمت إلى بغداد ، حالي كحال الكثير من المندائيين الذين كانوا يسافرون ، ويتركون عوائلهم في مدننا الجنوبية ، وكنا نعمل طيلة السنة في بغداد لنعود بعدها لزيارة أهلنا في موسم العيد ، وكنا (نسفر) لغرض العمل لنرجع ومعنا ما كسبنا ، محملين بالهدايا وما تحتاج إليه عوائلنا طيلة الفترة من عيد إلى عيد حيث كنت أعمل في بغداد – شارع النهر – في رأس القرية (رأس الكرية) وكان عملي في صياغة الفضة ، والنقش عليها ، وتركيب المينا السوداء ، وكنت مبدعًا في النقش على الفضة.

*** هل يمكننا أن نعرف كيف كانت حياة أبناء الطائفة أيام زمان ؟**

– كانت حياة الجميع بسيطة جدًا ، وكان أغلب الصاغة كما أسلفت يتركون عوائلهم في مدنهم الجنوبية ، مثل العمارة والناصرية ونواحيهما ، ويذهبون إلى المدن الكبيرة طلبًا للرزق ، ولا يلتقون بعوائلهم إلا في مواسم الأعياد ، وكانت آنذاك طبقتان من الصاغة طبقة (الأستادية) وطبقة (الصناع) الذين يعملون لمساعدة الطبقة الأولى ، وقد كانت حياتهم بسيطة جدًا ، أما أولئك الذين يعملون في الحدادة لإنتاج الفؤوس والمناجل والمساحي وكافة العدد التي يحتاجها المجتمع هناك ، وكذلك الذين يعملون في النجارة حيث يصنعون القوارب على اختلاف أنواعها ، والصابئة بشكل عام لا يعملون في الزراعة ، وقد كان بعضهم يعمل في صناعة الأسلحة النارية ، فقد كان جدي سالم بخيتان وعمي عبد الله بخيتان وأولاد عمي سرحان وخلف ، وكذلك حمادي وادي (أسطوات) في صناعة الأسلحة النارية ، وكان يشار إليهم بالبنان ، كما كان بعض المندائيين يعملون في التجارة كتجارة (الجنا) والجندل والخشب والقير وكل مستلزمات صناعة القوارب من بلام وشخاتير ، ومن أبرزهم كان فندي فعل في مدينة العمارة ، وجثير صكر في مدينة الكحلاء.

*** ما مقدار المبالغ التي كنتم تحصلون عليها خلال العام (من العيد الكبير إلى العيد الكبير)؟**

– كان الأستاذ (الأسطة) لا يربح أكثر من عشرين دينار، والصانع لا يحصل على أكثر من خمسة دنانير، كنا نشتري قبل العيد كل احتياجات العائلة من المواد الضرورية (الحباشات) من الشورجة، حيث كنا نملأ (جلة) كبيرة من هذه الحباشات بمبلغ لا يزيد عن دينارين، ونصرف ما مقداره خمسة دنانير لشراء الأقمشة التي تحتاجها العائلة من أجل ملابس العيد، أما المبلغ المتبقي فإن العائلة تعيش عليه طيلة الموسم.

*** ما هو دور رجال الدين أيام زمان؟**

– كانت شخصيات رجال الدين آنذاك شخصيات اجتماعية تحظى بتقدير وثناء كل المندائيين لأنهم كانوا قد نذروا أنفسهم لديانتهم، وكانت علاقتهم بالمندائيين وثيقة، وكانوا يعتمدون على أنفسهم في طلب الرزق، حيث كانوا يعملون في الصياغة وفي تجارة الأحجار (الشذر) وتجارة (الجنا) وغير ذلك، وكانت لهم علاقات ممتازة بالعوائل المندائية، حيث كانوا يقومون بزيارتها وتفقدها، أذكر من هؤلاء الشخ جثير منتوب الذي كان يزور المرضى في بيوتهم كل يوم، ويعمل لهم الأدوية بيده، ويعالج أبناء الطائفة بدون مقابل، لقد كانوا يشاركون المندائيين في أفراحهم وأحزانهم ويحضرون إلى بيوتهم أيام الأعياد، فيكرمهم المندائيون في أيام العيد، وكذلك عن الصباغة وعقد المهر، وأذكر أن أجور عقد مهر زواجي آنذاك ثلاثة دنانير.

*** كيف ترى حال الصابئة المندائيين الآن؟**

– يعيش الصابئة الآن حياة أفضل، ونحن في نهاية هذا القرن حيث وسائل الرفاهية متوفرة وكذلك حرية الأديان مضمونة من قبل الدولة، والصابئة يقدسون ويعشقون وطنهم ويعيشون مع إخوتهم العراقيين من جميع الطوائف بدون مشاكل أو عقد.

*** أنت على تماس يومي مع قيادات الطائفة، وترى ما يعملون، ما هو رأيك بهذه القيادات؟**

– إن الجهود الكبيرة التي يبذلها أبناؤنا في قيادات الطائفة لهو شيء كبير ويبعث على الرضا، وإنهم يستحقون عليه كل شكر وتقدير واحترام، فهم يضحون بوقتهم وراحتهم، وراحة عوائلهم، وكانت ثمرة عملهم المنجزات الكبيرة التي حصلت علها الطائفة خلال السنوات الأخيرة، وفي مقدمتها ترجمة كتابنا المقدس (كنزا ربا)، وترجمة كتاب (دراشة اد يهيا)، والمدرسة المندائية، وإصدار مجلة الطائفة الجميلة (آفاق مندائية)، التي يجب أن يقتنيها كل مندائي ويطلع عليها، لأنها تحوي تراث الطائفة وكل ما هو ضروري من ثقافة للعائلة المندائية، كذلك القيام بإدارة شؤون مجالس الفروع في المحافظات، وإدامة العلاقات مع أبنائنا في الخارج وإنشاء مرافق ومنشآت للطائفة، وإدامة العلاقة مع الجهات الرسمية وهناك جملة من المنجزات الكثيرة الأخرى، ولولا هذه النخبة وبمساندة أبناء الطائفة لها لما وصلت إلى هذا المستوى وهذه السمعة الطيبة.

*** ما المطلوب من الشباب المندائي اليوم؟**

– المطلوب من الشباب المندائي احترام ديانتهم والالتزام بأداء الطقوس الدينية بشكلها المطلوب، والابتعاد عن التعصب الديني، ومسايرة الزمن وزيارة المندي في كل المناسبات للإطلاع على النشاطات التي تقام فيه وعليهم بالزواج المبكر بالمندائيات، والابتعاد عن فكرة الزواج من غير المندائيات حفاظًا على ديننا وتراثنا اللذين هما دين وتراث الآباء والأجداد.

*** ما هو رأيك بالهجرة؟**

– إنني أرفض فكرة الهجرة، رغم كل الظروف وعلينا التمسك بهذه التربة وبمائها المقدس، لأننا نقدس في ديانتنا الكثير من رموز هذا الوطن، وأن هذا البلد هو بلد الخير والعطاء، وأن ظروف الحصار زائلة لا محالة.

*** من خلال تجربتك الطويلة في الحياة؛ بماذا تنصح الشاب المندائي؟**

– أنصح الشباب بأداء الطقوس الدينية كالصباغة وتعلم اللغة المندائية والإطلاع على الكتب الدينية المندائية، واقتناء مجلة آفاق مندائية لأنها غنية بالمواضيع المفيدة، وأوصيهم بالزواج من المندائيات والالتزام بوصايا الدين والقيم الأخلاقية التي جاء بها ديننا.

*** ما هو الحل لمشكلة عزوف الشباب عن الزواج؟**

– أحث الآباء على مساعدة أولادهم والوقوف إلى جانبهم، وعدم وضع شروط تعجيزية أمام زواج الفتيات والتساهل مع الشباب وتيسير الأمور مع ضمان حقوق البنت، إن الأخلاق العالية والثقافة وسمعة العائلة هو أهم شيء.

*** ما الفرق بين شباب الأمس وشباب اليوم؟**

– أيام زمان كان الشباب يرتبطون فيما بينهم بعلاقات قوية أساسها رابطة الدين، ومتماسكين فيما بينهم تسودهم الألفة والمحبة، كنا نجتمع في الأعياد ونعمل حفلات السمر في دورنا ونعمل (التحاتيم) بعد منتصف الليل حيث كنا نتناول الجوز والأشرسي، ونلعب (المحيبس والأبية والمنقلة والدومنة)، كنا نمارس الغناء والشعر والمطاردات الشعرية والقصص التي فيها العبر والحكم، أما الآن ومع الأسف تغلبت الأمور المادية وضعفت العلاقات الاجتماعية، فنرى أن الشاب المندائي وفي هذه الظروف بالذات لا يتعرف على أقرب الناس إليه.

في نهاية اللقاء شكرنا العم أبا بشير على إجاباته الواضحة ودعونا له بالصحة والعافية والعمر المديد.

شخصية من البصرة... عبد الجبار سيف مناحي

ولد المرحوم في مدينة قلعة صالح محافظة ميسان عام ١٨٩٩، وبعد أن شب دخل المدرسة العثمانية ذات الثلاث صفوف، وكان كل صف يسمى باسم سلطان من سلاطين الدولة فكانت أسماء الصفوف (حميدي... عزيزي... رشادي)، وبعد أن أنهى دراسته غادر مع بعض الصاغة إلى القرى والعشائر، حسب تقاليد ذلك الزمان للعمل بمهنة الصياغة والتي كانت تسمى (صياغة العرب) وبهذا دخل معترك الحياة وهو لم يزل شاب، وبعد أن تكونت لديه خبرة بالعمل والحياة؛ غادر مع أخيه ناصر سيف إلى ميناء البصرة للعمل هناك بصياغة الفضة المطعمة بالمينا بصحبة مجموعة كبيرة من أبناء مدينته.

ثم تبلورت لديه فكرة السفر إلى مصر، فسافر مع بعض أقاربه ومنهم المرحوم نوري خنجر وعواد سبهان، حيث حلوا في مدينة الإسكندرية وفتحوا لهم محال هناك، فازداد الإقبال على منتجاتهم الجذابة واكتسبوا خبرة، وتعرفوا على أناس ومحيط غير محيطهم وبيئتهم عادوا بعد سنوات إلى الوطن حيث فتحوا لهم محال في البصرة وتحسنت أمورهم المادية كثيرًا عند دخول قوات الحلفاء إلى البصرة في الحرب العالمية الثانية إذ تهافت الأجانب على شراء مصوغاتهم الجميلة النادرة...

وبعد هجرة الصاغة اليهود عام ١٩٤٨ حل الصاغة المندائيون محلهم؛ وأتقنوا فن صياغة الذهب، هذا الفن الجميل المعاصر، وأبدعوا فيه وأنتجوا ببراعة مصوغات تلائم الذوق الحضاري المعاصر، وكان العمل آنذاك يدويًا مما زاد في ارتفاع قيمته الفنية في أعين الناس، بعد أن تقدمت به السن فكر ببناء معمل ثلج، وقد شيد فعلاً في محلة الجمهورية في البصرة عام ١٩٥٠، وسمي معمل ثلج الجمهورية، والذي مازال ينتج الثلج حتى الآن...

كان المرحوم بارًا بطائفته غيورًا على دينه المندائي، ولما وجد أن الطائفة في البصرة لا تملك مندي وأنها بحاجة ماسة إليه؛ تبرع بقطعة أرض في محلة الطويسة وسجلها باسم الطائفة، وبفضل جهوده وجهود إخوته المندائيين هناك تمَّ جمع المبالغ اللازمة لتشييد مندي حديث وكبير، على ذات القطعة، وهو أول مندي حديث تمتلكه الطائفة في العراق، لقد كان المرحوم وجيهًا ذكيًا لبقًا استطاع كسب صداقة شخصيات عديدة معروفة وقد كان يحسن التحدث بثلاث لغات؛ هي الانجليزية والفارسية والهندية، وقد تعلمها من خلال الممارسة والاختلاط، وافاه الأجل عام ١٩٨٢.

حسني زهرون : صائغ ميساني

في عام ١٩٠٦ في مدينة العمارة وبالتحديد في محلة السرية ولد طفل في بيت عريق ، لكنه لم يعش طفولته كما يجب بسبب انشغال والده الصائغ الفنان "زهرون مله خضر" بمسؤوليات كبيرة ، فقد كان مختار الطائفة الصابئة المندائيين ، يمثلها في الدوائر الرسمية ويرعى مصالحها ويحل مشاكلها ، بيته مفتوح لكل أرملة ومطلقة محتاجة ، وكان رب أسرة مركبة قوامها ثلاث زوجات مع الأطفال والإخوان والأخوات والأقارب ، وبسبب تلك المشاغل لم يبقَ لديه الوقت الكافي للرعاية المباشرة فتركت للأمهات.

في هذا البيت المركب الكبير وفي حضرة أم متدينة حنون اختطف منها الموت أكثر من مولود ، ولد طفل أسمته (حسين) تيمنًا حتى يعيش وعاش ونشأ حساس نبيه وذكي جدًا ، دخل المدرسة وتركها في الصف الثاني الابتدائي لأسباب خاصة ، وفي الثامنة من عمره بدأ يعتمد على نفسه وشرع بالجلوس على عتبة الدار وأخذ يرسم وجوه المارة والأصدقاء ، فعرف بين أهله وأقرانه بالرسام ، وبدأت موهبته بالظهور ؛ فأثارت انتباه والده وأعمامه وذاع صيته وحظي بمعاملة خاصة ودخل عالم النقش على الذهب والفضة صغيرًا ، ذلك العالم الذي اختصت به عائلته وبرعت وخاصة والده زهرون ، فاعتمد عليه والده وأشركه في نقش التحف والهدايا التي تقدم للملوك والشخصيات البارزة على نطاق الدولة والعالم ، ولقب – بحسني – تحببًا ، فمنذ ذلك الوقت اختص بنقش الصور الشخصية وظل ينقشها كهاوي وليس كمحترف أو تاجر ، لأنه ينقش كل صورة كأنها الأولى والأخيرة ، يؤديها بنفس الصبر والأناة والدقة ، وكان يقول كل صورة هي امتحان جديد لأن الوجوه كثيرة ومختلفة ، وقمة سعادته عند ظهورها بالشكل الذي يرضيه.

حسني الإنسان كان صادق الإيمان يحمل قلبًا نقيًا صافيًا يفيض حبًا وعطفًا على كل المحيطين به، فهو نعم الأب والجد والصديق، كان وسيمًا نظيفًا باسم الوجه أبدًا، حليمًا متسامحًا كريمًا لا يرد محتاجًا، كم أسقط ديون دون ذكر أصحابها لأنه يكره التباهي، قنوع عف اللسان، يكره المجاملة والكرم الزائف.

من أبرز صفاته الكتمان والصبر على الشدائد، والدليل ذلك السر الذي لا يعرفه إلا أقرب المقربين، وهو أن الفنان والنقاش المشهور لا يعرف كيف يصنع سبيكة ذهبية ولا كيف يصوغ حلقة ذهبية بسيطة، كل عدته أقلام النقش وحجر المسن يحملها في جيبه أحيانًا عند تنقله بين العمارة والبصرة وبغداد، حيث محلات إخوانه وأعمامه، وأخيرًا استقر في العمارة للعمل مع أخيه جبوري وابن عمته عبد سلوم وقد صاغت أناملهم أروع التحف الفضية والذهبية وكم تهافت الناس على اقتنائها، ثم شارك ابن عمه الصائغ إبراهيم رشيد في محل صياغة في شارع بغداد، وبقي شريكًا حتى عام ١٩٥٤ ثم انفصل وقرر ألا يشارك أحد، وبقي في البيت لمدة سنة بلا محل ولا عمل، وكان حينها رب أسرة مكونة من عشرة أفراد، فرح حساده وهم كثر لغيابه عن الساحة الذهبية، وتوقعوا أن يموت النقاش الماهر وعائلته جوعًا لأنه ليس ممن يكنزن المال، بل يعمل على قدر حاجته وكانت تلك الفترة خير دليل على صبره.

بدأت محاولاته الأولى لاكتشاف عالم الصياغة المجهول بالنسبة له وهو في الثانية والخمسين من عمره دون مرشد، وكان يجد غضاضة بل مرارة بالاستعانة بأحد وهو لا يعرف أسرار المهنة في تنقية الذهب وعمل سبيكة قابلة للطرق دون تكسيرها ولا يعرف كيف يلحم، بقي يحاول وبعد عشرات المرات بل المئات أفلح في تحقيق مراده وفرح بنجاحه وكأنه المكتشف الأول للصياغة، وبدأ يصوغ ويالروعة ما صاغ.

استأجر لأول مرة محلاً خاصًا به في العمارة في شارع بغداد ؛ وأصبحت التحف التي يصوغها لا تجارى ؛ وخاصة الأساور والقلائد المطعمة بالميناء السوداء والصور الشخصية المنقوشة على الذهب ، وصارت كل فتاة عمارية تشترط على خطيبها صورة من صياغة حسني تتباهى وتتبارك بها ، وهكذا أصبحت تحفه زينة وخير خزينة ، ولا يمكننا أن نحصي عدد الصور التي نقشها لعامة الناس والشخصيات البارزة ، وقد وصلت تحفه إلى الدول العربية والأجنبية ، وقد قصده الكثير من الزوار لمشاهدة التحف وكيف يصوغها.

أحب هذا الفنان الطبيعة ؛ بل قدسها وخاصة مدينه العمارة الحالمة بأحضان دجلة الخالد ، وأطلق مقولته المشهورة – بلم بشط العمارة تسوى باريس كلها – بعد عودته من سفرة قام بها إلى فرنسا للاشتراك في معرض باريس الدولي في الثلاثينيات القرن الماضي وحاول مدير المعرض إغرائه للبقاء في باريس ، وهكذا عاد الفنان لأرض أجداده وأهله لينعم بدفء حضن مدينة العمارة وأهلها الطيبين ، تلك المدينة الهادئة الغافية على ضفاف دجلة الخير ، واستمر بالتعبد والصلاة صباح مساء على الشاطئ الحبيب بعد الوضوء بالمياه النقية الطاهرة الجارية على مر العصور.

ثقافته شخصية بحتة ، فبعد ترك الصف الثاني الابتدائي تعلم القراءة والكتابة باللغة العربية والمندائية والانجليزية من الممارسة والاحتكاك بالمتعلمين ، دون مدرسة أو معهد أحب العلم والمطالعة ، ومن أعز أصدقائه السيد عبد الرحيم الرحماني – صاحب أشهر مكتبة في العمارة – مكتبة الرحماني – وقد واظب على شراء مجلة الهلال وقراءتها من الغلاف إلى الغلاف وكان يحب إشراك العائلة بالقصص والمواضيع الطبية والعلمية.

من هواياته لعب الشطرنج ، وقد تفوق على مدير معارف العمارة الأستاذ – سيد حسن الجواد – في لعبة شطرنج رغب بها المدير تحديًا ، لأنه كان أمهر لاعب في العمارة.

عاش متديناً صادق الإيمان أخذ من الدين جوهره، تصرف طول حياته بنكران ذات وبكرمٍ وإباء، فأعطى نظرة أنه من أصحاب الملايين لقناعته ورضاه، والحقيقة أنه توفي في بغداد بتاريخ ١٩٨٢/٨/٨ وكانت كل ثروته – صدق أو لا تصدق – خمسة عشر ألف دينار لا غير، و معها كنز من السمعة الطيبة لا تصنعها مليارات الدنانير، عاش ومات بلا جعجعة فارغة، بل باسم نقش في ذاكرة الزمن بقلم من ماس.